السنة السادسة والسبعون بعد المئة

فيها ظهر يحيى بنُ عبد الله بن حسن بن حسن بالدَّيلم، وقويت شوكتُه، واستفحلَ أمره، وجاءه الناس من الأمصار، فاشتدَّ ذلك على هارون، فجهَّز إليه الفضلَ بن يحيى ابن خالد، وولَّاه طبرستان وإرمينية وأذْرَبيجان ودنباوند والجبال، فسارَ في خمسين ألفاً من صناديد القوَّاد[1]، ومعه الأموال والخزائن، وخرج إليه الشعراء والقصَّادُ، فأعطاهم فأكثر، وسارَ إلى الديلم، وكاتب يحيى ورفق به واستمالَه وناشدَه الله في نفسه، وحذَّره ما جرى على أهله، ونزلَ الفضل بالطالقان، والرسلُ تتردَّدُ بينه وبين يحيى، وجعل الفضل يكاتبُ صاحبَ الديلم، وجعلَ له ألفَ ألف درهم؛ على أنْ يُسهِّلَ خروجَ يحيى إلى ما قبله، وحُمِلت إليه، فأجابه يحيى إلى الصلح، على أن يكتبَ له هارون كتاباً بخطّه، فكتب [الفضل بن] يحيى إلى هارون، فسُرَّ بذلك وأجابَه، وكتبَ الكتاب بخطه، وأشهدَ عليه القضاةَ والفقهاءَ وجِلَّة بني هاشم وأشرافهم، كعبد الصمد ابن عليّ، والعباس بن محمد، [ومحمد][2] بن إبراهيم، وموسى بن عيسى وأشباههم، ووجَّه به مع هدايا وألطاف، وعَظُم موقعُ الفضل عنده، فلمَّا وصل الكتاب إلى الفضل بعثَ به إلى يحيى، فقدمَ عليه يحيى، فقدمَ به إلى بغداد، فلقيهُ الرشيدُ بكلِّ ما أحبّ، وأمرَ له بمالٍ كثيرٍ، وأنزلَه في منزل يحيى بن خالد، وأمرَ الناس بالتسليم عليه، وأكرمَه الرشيدُ غايةَ الإكرام، فقال مروان بن أبي حفصة: [من الطويل]

ظَفِرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ برمكيَّةٌ ... رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذي بين هاشمِ
على حينَ [أعيا] الرَّاتقينَ التئامُه ... فكَفُّوا وقالوا ليسَ بالمُتلائمِ
فأصبحْتَ قد فازتْ يداكَ بخُطَّةٍ ... من المَجْدِ باقٍ ذكرُها في المواسمِ

من أبيات.

وقال أبو تُمامة: [من الكامل]

---

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٢: في خمسين ألف رجل، ومعه صناديد القواد.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣.

لـلـفـضـلِ يـومُ الـطَّـالـقـانِ وقـبـلَـهُ يـومٌ أنـاخَ بـه عـلـى خـاقـانِ
مـا مـثـلُ يـومَـيْـه الـلـذيـنِ تـوالـيـا فـي غـرزتـيـن تـوالـيـا سـيَّـانِ[1]
سـدَّ الـثـغـورَ وسـدَّ[2] ألـفـة هـاشـمٍ بـعـد الـشَّـتـاتِ فـشَـعْـبُـهـا مُـتـدانِ
عـصـمَـتْ حـكـومتُـه جـمـاعـةَ هـاشـمٍ مـن أن يـجـرَّدَ بـيـنـهـا سـيـفـانِ
تـلـكَ الـحـكـومـةُ لا الـتـي مـن أجـلـهـا عـظُـم الـمِـرَا وتـفـرَّق الـحـكـمـانِ

فأعطاه الفضل مئة ألفِ درهم.

ولما قُدِم بيحيى من الديلَم قال له عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن: يا عمّ، أخبرني خبرَك، فقال: يا ابن أخي، والله إنْ كنتُ إلَّا كما قال حُيَي بن أخطب: [من الطويل]

لـعـمـرُك مـا لامَ ابـنُ أخـطـبَ نـفـسَـهُ ولـكـنَّـه مـن يـخـذُلِ الله يُـخـذَلِ
يـجـاهـدُ حـتَّـى أبـلـغَ الـنـفـسَ عـذرَهـا وقـلـقـلَ يـبـغـي الـعـزَّ كـلَّ مُـقَـلـقـلِ

ثم إن الرشيد غضب على يحيى بن عبد الله وقيَّدَه وكبَّله بالحديد بعد الأيمانِ والمواثيق.

وفيها هاجت الفتنة بالشام بين النزاريَّة واليمانية، ورأسُ النزارية أبو الهيذام، وكان عاملُ الرشيد على الشام موسى بن عيسى، وقُتِل من الفريقين جماعةٌ كثيرة، فولَّى الرشيدُ موسى بن يحيى بن خالد، فسار إليها في القوَّاد والعساكر فأصلحَ بينهم، وأقدَمهم بغداد، فردَّ الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى بن خالد، فعفا عنهم، فقال إسحاق ابن حسان الخُريمي[3] من أبيات: [من الكامل]

فـلـكـل ثـغـرٍ حـارسٌ مـن قـلـبـهِ وشـعـاعُ طَـرْفٍ مـا يُـفَـتَّـرُ سـامـي
حـتـى تَـنَـخْـنَـخَ ضـاربـاً بـجِـرَانِـه ورَسَـتْ مَـراسـيـهِ بـدارِ سـلامِـي

وفيها عزلَ الرشيدُ موسى بن عيسى عن مصر، وولَّاها جعفر بن يحيى بن خالد.

وسببُه أنَّ الرشيد بلغه أنَّ موسى بن عيسى يريد أن يخلعه، فقال: والله لا عزلتُه إلَّا

---

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣ : في غزوتين توالتا يومان.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣ : وردَّ.

(٣) في (خ): الحرمي. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٥١ : الخزيمي. والمثبت هو الصواب. انظر تبصير المنتبه ٢/ ٥٠٠.

بأخسّ مَن على بابي، فقال لجعفر بن يحيى: ولِّ مصر أحقر من على بابي وأخسّ، فنظر، فإذا عمر بن مِهْران كاتب الخيزران، وكان مشوَّه الخلقة، يلبس ثياباً خسيسة، ويركبُ بغلاً ويردفُ غلامه خلفه، فقال: أتولَّى مصرَ على أن يكون إذني إذا صلحت البلاد، فقيل له: نعم، فسار، فدخلَها، وخلفَه غلامٌ على بغل الثقل[١]، فقصدُوا دار موسى بن عيسى، فجلسَ في أُخرياتِ الناس، فلمَّا تقوَّضَ المجلسُ قال له موسى: ألكَ حاجة؟ فرمى إليه بالكتاب. قال: لعن الله فرعون حيثُ قال: أليسَ لي ملك مصر، ثم سلَّم إليه مصر، فمهَّدهَا ورجعَ إلى بغداد وهو على حاله.

وفيها عزل الرشيدُ الغطريفَ بن عطاء عن خُراسان، وولَّاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وكان حمزةُ يلقَّب بالعروس[٢].

وفيها عقدَ الرشيدُ لابنه عبد الله المأمون العقدَ بعد أخيه الأمين، وولَّاه المشرق، وكتب بينهما كتاباً، وعلَّقه في الكعبة[٣].

وحجَّ بالناسِ سليمان بن المنصور، وحجَّت في هذه السنة زُبيدة، وأمرت ببناءِ المصانع والبرك.

فصل وفيها توفِّي

إبراهيم بنُ صالح

ابنِ عليِّ بنِ عبد الله بن عباس.

وليَ دمشق وفلسطين ومصر للمهدي، والجزيرةَ للهادي، وكان من وجوهِ بني العباس، وكان جواداً ممدحاً، وفدَ عليه عبَّاد بن عبَّاد الخوَّاص، فقال له: عظني، فقال: إنَّ أعمالَ الأحياءِ تُعْرَضُ على أقاربهم من الموتى، فانظرْ ماذا يعرضُ على رسول الله ﷺ من عملك، فبكَى إبراهيمُ حتى سالت دموعُه على لحيته[٤].

---

(١) نص الكلام ـ كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٣ ـ : فدخل عمر بن مهران مصر على بغل، وغلامه أبو دُرَّة على بغل ثقل.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ١٩.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ (مخطوط).

إبراهيم بن علي

ابن سَلمة بن عامر بن هَرْمة، أبو إسحاق الفهريُّ الشاعر.

كان الأصمعي يقول: خُتِمَ الشعرُ بابن هَرْمة، هو آخر الحُجَج.

وقدم رجلٌ من أهل الشام المدينة، قال: فأتيتُ منزل ابن هَرْمة، فإذا ببنيةٍ له صغيرة تلعبُ بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا به علمٌ منذ زمن. قال: فقلت: أنا ضيفُك فانحري لي ناقةً، قالت: والله ما عندنا ناقة. قلت: فشاة، قالت: لا والله ما عندنا شاة. قلت: فدجاجة، قالت: والله ولا دجاجة. قلت: فبيضة، قالت: والله ولا بيضة. قلت: فباطل ما قال أبوك: [من المنسرح]

كم ناقة قد وجأتُ منحرَها ... بمُستَهل الشؤبوبِ أو جَمَلِ

قالت: فذاك الفِعال من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليسَ عندنا شيء[1].

صالح بن بشير القارئ

أبو بشر، من الطبقة الخامسة من أهل البصرة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت إذا ذكرتُ صالحاً المُرِّي لسفيان الثوري يقول: القَصص القصص، كأنَّه يكرهه، وكانت إذا كانت له حاجةٌ بكَّر فيها، فبكَّر يوماً وبكَّرتُ معه، فجعلتُ طريقنا على مسجد صالح، فقلت: يا أبا عبد الله، ندخلُ فنصلِّي في هذا المسجد، فدخلنَا فصلَّينَا، وكان يوم مجلس صالح، فلمَّا صلَّوا ازدحم الناس، فبقينا لا نقدرُ أن نقوم، وتكلَّم صالح، فبكَّى سفيان بكاءً شديداً، فلمَّا فرغَ وقام قلت له: يا أبا عبد الله، كيف رأيتَ هذا الرجل؟ فقال: ليس هذا بقاصّ، هذا نذير قوم.

وقال عفان بن مسلم: كنَّا نأتي مجلسَ صالح وهو يقصّ، وكان إذا أخذ في قَصصه كأنَّه رجلٌ مذعورٌ من كثرة حزنه وبكائه، يفزعكَ أمرُه، كأنَّه ثكلى، وكان شديدَ الخوف من الله تعالى، كثيرَ البكاء.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٦ ـ ٥٠.

وكان صالح يقول: للبكاء دواعٍ؛ الفكرة في الذنوب، فإن أجابت القلوب، وإلَّا نقلتَها إلى الموقف وتلك الشدائدِ والأهوال، فإنْ أجابت إلى ذلك، وإلَّا فاعْرِض عليها التقلُّبَ في أطباق النيران، ثم صاح وغُشِيَ عليه، وتصايحَ الناس من نواحي المجلس.

وعزَّى رجلاً على ابنه فقال: لئن كانت مصيبتك[1] لم تُحدِث لك موعظةً من نفسك، فمصيبتك في نفسك أعظمُ من مصيبتك في ابنك.

وأقدمه المهديُّ إلى بغداد، فدخلَ عليه وهو راكبٌ على حِماره إلى بساط المهدي، فقال لولديه موسى وهارون ـ وهما وليا العهد ـ : قوما إلى عمِّكُما فأنزلاه، فلمَّا انتهيَا إليه، أقبلَ صالح على نفسه وقال: ويلك يا صالح، لقد خبتَ وخسرتَ إنْ كنت عملتَ لهذا اليوم.

وقال صالح: جاورتُ بمكَّة، فبينا أنا بالمسعى إذا برجلٍ قابضٍ على يد جارية حبشيَّة، وهو ينادي عليها: هل من زائدٍ على عشرة دنانير، مع البراءة من كل عيب؟ فنظرتُ إلى جاريةٍ مغمضة العينين، وعليها أنوار المعرفة، فقلت: وما عيبُها؟ قال: لا تأنسُ بأحدٍ، وتصومُ النهار، وتقوم الليل، وتبكي دائماً، فقلتُ في نفسي: ما أحسنَ هذه العيوب، فاشتريتُها، وأتيتُ بها المنزل، فلمَّا استقرَّ بها الجلوس فتحت عينها وقالت: يا سيدي الصغير، من أنت؟ قلت: من العراق، قالت: مرحباً وأهلاً معدن الزهاد والعُبَّاد، قلت: فمن تعرفين منهم؟ قالت: أعرفُ بشراً الحافي ومعروفاً الكرخي ورابعة العدوية، وعدَّدت جماعةً، قلت لها: وكيف عرفتيهم؟ قالت: ها أولئك هم الأدلَّاء وأطبَّاء القلوب، فكيف لا أعرفهم؟ ثم قالت: فما الاسم؟ قلت: صالح، قالت: أبو بشر القارئ؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أشوقني إلى لقائك، أسألك بالله أن تقرأَ عليّ، فأخذتُ في الاستعاذة، فما أتممتُها حتى غُشي عليها، ثم أفاقت، فقالت: اقرأ، فقرأتُ البسملَة، فغُشي عليها، فلمَّا أفاقت قالت: هذا على الصفة، فكيف على المعاينة؟ ثم قرأتُ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ الآيات [غافر: ٧١ ـ ٧٢]، فقامت قائمة وصاحت: ولم هذا،

(١) في (خ) مصيبته. والمثبت من صفة الصفوة ٣/ ٣٥١.

وما قبَّلنا صليباً ولا شددنا زناراً، ومن قبل أن يُقْذَف بنا في بطون أمهاتنا وأصلابِ آبائنا اعترفنَا لك بالتوحيد؟ ثم قرأتُ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ فصاحت: وأين شفيعُ الكلِّ عنهم؟ ثم غُشي عليها، فلمَّا أفاقت قالت: اقرأ، فقرأت: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ فقالت: أي وحياتك، تعبُوا قليلاً، واستراحوا طويلاً، ثمَّ بكَتْ وقالت: يا سيدي الصغير، ألكَ حاجةٌ إلى سيِّدي الكبير؟ قلت: لا تفعلي، ودعيني أتلذَّذُ بخدمتك، فقالت: لابدّ، قد اشتقتُ إليه، ثم مدَّت يديها ورجليها واستقبلَت القبلة وماتت.

وتوفِّي صالحٌ سنة ست وسبعين، وقيل: اثنتين وسبعين ومئة.

أسند عن الحسن وابن سيرين وغيرهما، وخلق كثيرٍ من التَّابعين، ورَوى عنه عفَّان ابن مسلم، واتفقوا على زهده وورعه وصلاحه.

وكان صالح مولًى لامرأةٍ من بني مُرَّة، فأعتقته، وكان حسن الصوت بالقراءة، واسم أم صالح ميمونة، خراسانية[1].

يحيى بن عبد الله

ابن حسن بن حسن بن علي عليه السلام، من الطبقةِ الخامسة من أهل المدينة.

قال محمد بن سماعة: بعث الرشيدُ إلى محمد بن الحسن والحسن بن زياد، فدخلا عليه، وأتي برجلٍ من آل أبي طالب يقال له: يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن، وأحضرَ السيفَ والنِّطعَ، والطالبيُّ يناشدُه الله ويقول: أينَ أمانُكَ؟ فأمرَ بدفع كتابه إلى محمد بن الحسن، فتأمَّله وقال: أمانٌ صحيح ـ يرفَعُ بها صوته ـ ودَمُ هذا الرجل حرام، فتغيَّر وجهُ هارون وقال: هذا أمانٌ لم أكتبه، وإنما أمرتُ من كتبه، وأنت تقول: إذا أمرَ إنسانٌ إنساناً أن يَكتبَ كتاباً لم يلزمه حتى يكتبَه بنفسه، فقال محمد: إذا كان الأمرُ من العامَّة فنعم، وإن كان من الخاصَّة لزمَه ويحنث؛ لأنَّ كتابَ السلطان هو ما كُتِبَ بأمره، فقال له هارون: إنَّما يقوِّي هذا وأمثالَه في الخروج علينا أنت وأمثالُك، ثم رَمى محمداً

(١) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٦/ ١٦٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٥، والمنتظم ٩/ ٢٤، وصفة الصفوة ٣/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ١٦.

بالدواة فشجَّه، فسالَ الدمُ على وجهه، فقال محمد: دمُه حرام، دمُه حرام، فرمَى بالكتاب إلى الحسن بن زياد، فنظرَ فيه وقال بصوت خَفيّ: أمانٌ صحيح، ودخلَ أبو البختري القاضي، فرمى إليه هارون بالكتاب، فنظرَ فيه، وقال: ليس هذا بأمانٍ صحيح، ودمُ هذا حلال، فاقتله ودمُه في عنقي، فصاح الطالبيُّ: يا هارون، يقول لك محمد والحسن، وهما عالما الدنيا: هذا أمان صحيح، ولا تقبلُ منهما، ويقول لك هذا الفاسق الكذَّاب المدَّعي نسباً لم يقره أبوه عليه وتسمعُ منه؟! وأمر هارون بقتل الطالبيِّ فقتل، وقام محمدٌ فخرج، قال الحسن بن زياد: فجعلَ يبكي في الطريق وينتحب، فقلت: أتبكي من الشجَّة؟ فقال: لا والله، بل على قربي منهم وتقصيري في حقِّ الطالبيّ، وحيث لم أحقق في الحال فيه مع أبي البختري، قال: فقلت: لقد قمتَ مقاماً لم يقم أحدٌ على وجه الأرض أشرفَ منه.

وقال ابن سعد: يحيى[1] رجعَ إلى المدينة، ومات بها، وأمه قُرَيبة بنت ركيح[2] بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد، فولدَ يحيى محمداً، وأمُّهُ خديجة بنت إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد[3] الله بن معمر.

(١) في (خ): بن يحيى. وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١.

(٢) في (خ): رابح. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١، ونسب قريش ص٥٤.

(٣) في (خ): عبد الله. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١، ونسب قريش ص٥٥ .